# مدرسة مازونة ودورها في الحركة العلمية والثقافية

فاطمة غالم*

تحت إشراف أ.د عبد القادر بوباية*

**مقدمة:** في قلب جبال الظهرة تتربع مازونة الضاربة في التاريخ، عاصمة بايلك الغرب في العهد العثماني، عرفت بأنها مدينة العلم والعلماء، وقبلة الطلبة ومقصد كل الراغبين في العلوم الإسلامية من داخل وخارج الوطن، والفضل في ذلك لمؤسساتها التعليمية المتنوعة، وأهمها مدرسة مازونة التي كان لها بالغ الأثر على الحركة العلمية والثقافية محليا وإقليميا، وكانت نواة لبروز مازونة كحاضرة علمية في الغرب الجزائري.

لذلك ارتأينا توضيح ذلك الدور الذي لعبته مدرسة مازونة في الحياة العلمية والثقافية في العهد العثماني، من خلال التطرق إلى:

– التعريف بمدينة مازونة وتسميتها.

– الحياة العلمية والثقافية في مازونة في العهد الزياني.

– التعريف بمدرسة مازونة والعلوم المدرسة بها ومنهجها في التدريس.

– أشهر علماء المدرسة (الشيوخ والطلبة).

– دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية.

1– **اسم مازونة:** هناك عدة روايات حول تسميتها وهذه أهمها:

– مازونة تعني أرض الرجال الأقوياء[1]، ومازونة اسم قبيلة من زناتة لأن اسم أبيهم مازون[2]، وقيل مشتقة من كلمة "ماسونة" بلدة رومانية فتحول الاسم اللاتيني ماسونة إلى البربري مازونة.[3]

*طالبة دكتوراه سنة أولى– العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصور الوسطى– قسم التاريخ وعلم الآثار– كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية– وعضو في مخبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

* أستاذ في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار– كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، ومدير مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

– ويُحكى أن مازونة كانت تحكمها ملكة لها كنز من قطع نقدية من الذهب تسمى "موزونة"، وأنه كان راع يدعى "ماتع" يرعى بغنمه في المكان الذي تأسست فيه المدينة؛ فرجع إلى أهله يصف مزايا المرعى، ويقارنه بتلك القطع النقدية التي تسمى موزونة فلقب المكان بمازونة[4].

– ويروى أن ملكا حط رحاله بجبال المنطقة وكانت ترافقه ابنته "زونة"؛ فطلب من رجاله أن يحضروا لها الماء، وعندما وجدوا المنبع حرموه على الغير وخصّصوه لها، وقالوا هذا ماء زونة، ومنه أخذ اسم المنطقة مازونة[5]، وكلها تبقى مجرد روايات.

2- **التعريف بمدينة مازونة:** تقع مازونة في قلب جبال الظهرة، أثارت إعجاب كثير من الرحالة والجغرافيين القدماء حيث يذكر الإدريسي أن "مدينة مازونة على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل وهي أسفل خندق، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مونقة...، من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصبا"[6]، وهو نفس وصف الحميري[7]، أما ابن بطوطة فذكرها من دون وصف حيث قال: "فوصلنا... إلى مدينة تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان"[8].

كما ذكرها العبدري في رحلته قائلا: "...ثم رحلنا على طريقنا الأول إلى مليانة فتيمنا منها على طريق مازونة، مثوى خطوب الزمان ومناخ ركاب الحدثان، وهي بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجرف واد منقطع شبه قلعة، وواهية حسا ومعنى"[9].

مما سبق يتضح أن لمدينة مازونة موقع جغرافي هام، وأهمية اقتصادية واستراتيجية وتاريخية، فهي محاطة بالجبال، وأراضيها خصبة ووافرة المياه، وهي ملتقى الطرق التجارية من الشرق الى الغرب، وكل هذا جعلها تستقطب إليها الأنظار على مر العصور.

وهناك اختلاف حول تأسيس المدينة؛ فالحسن الوزان يرجعها إلى الرومان في قوله: "مازونة مدينة أزلية بناها الرومان– حسب قول بعضهم– على بعد نحو أربعين ميلا من البحر...، وما يدل على أصلها الروماني العدد الوافر من الكتابات المنقوشة على قطع الرخام"[10].

ويوافقه في ذلك مارمول الذي يقول: "ترى بها أنقاض عدة مدن خربت منذ عهد الرومان، حيث تشاهد بها لحد الآن لوحات كبيرة من المرمر وتماثيل من الحجر وعليها كتابات لاتينية منقوشة...، ويستثنى من ذلك معبد رائع في المدينة يظهر أنه من بناء الرومان"[11].

ويرى آخرون كابن خلدون أن مازونة أسسها عبد الرحمن بن منديل رئيس مغراوة[12]، وأسست على حد قول أبو راس أول القرن السادس[13]، ويؤكد ذلك محمد بن يوسف الزياتي في قوله: "...، ومنديل هو الذي اختط مازونة التي كانت بها القبيلة، واندرست سنة خمس وستين من القرن السادس"[14]، ويبقى الطرح الأول القائل إن مازونة مدينة رومانية هو المتفق عليه[15].

**3– الحياة العلمية في مازونة في العهد الزياني:** رغم ما اعترى العصر الزياني في القرنين 8 و9هـ/14-15م، من اضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية؛ فقد شهدت نهضة علمية وثقافية معتبرة، فبرزت مدن تشع بمداسها ومساجدها ثقافة يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا، ومن هذه المدن تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة ووهران والجزائر وبسكرة، وفي كل مدينة من هذه المدن عائلات اشتهرت بالعلم والتأليف والدرس أو الزهد والتصوف[16].

عرفت مازونة على عهد الزيانيين حركة علمية تجلت في إنشاء المراكز التعليمية كالكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، ويصف ذلك حسن الوزان: "بأنها مدينة متحضرة جدا في القديم، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى"[17]، وفيها مدرسة كانت نموذجا مصغرا لمدارس تلمسان[18]، وكانت تدعى المدرسة الزناتية التلمسانية اليوسفية، وقد شيدت بحي تنصارت (نيسارت)[19]، ونظرا لعدم شهرتها كمدارس الحاضرة تلمسان لم تتطرق إليها كتب التاريخ، ولم نعثر على تاريخ تأسيسها، والمقصود بها غير المدرسة الحالية المعروفة من حيث التأسيس والموقع[20]، التي سنعرف بها لاحقا.

ومن مظاهر النهضة العلمية في مازونة في القرن 9هـ/15م بروز عدة علماء وفقهاء ذاع صيتهم في كل الأقطار ومنهم:

– موسى بن عيسى بن يحي المازوني أبو عمران (ت القرن 9هـ/15م)، فقيه، من القضاة[21]، "عالم جليل وعامل أصيل، تمكن من السنة حتى لم يدع للبدعة مدخلا إلا سدّه...، الفقيه الأجل المدرس المحقق، القاضي الأكمل، وهو والد صاحب النوازل"[22].

وما يدل على رسوخه في العلم مؤلفاته العديدة ومنها : "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"، "حلية المسافر وآدابه" و"الرائق في تدريب النشء من القضاة وأهل الوثائق"[23].

– يحي بن موسى أبو عمران بن عيسى أبي زكرياء المغيلي المازوني، فقيه مالكي، نشأ بمازونة وبها تعلم، وولي قضاءها باتفاق أغلب المترجمين له[24]، كما تولى قضاء تنس[25]، وتوفي بتلمسان سنة 883هـ/1478م[26]، درس أولا على أبيه أبي عمران موسى ثم على علماء تلمسان كابن مرزوق

الحفيد (ت842هـ/1438م)[27]، وقاسم العقباني (ت845هـ/1450م)[28] وابن زاغو (845هـ/1441م)[29] وغيرهم.

إن شهرة أبي زكرياء المازوني جاءت من مؤلفه "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"[30]، وهو كتاب ضخم في سفرين حافل بفتاوى المعاصرين له من علماء تلمسان والجزائر وتونس والمغرب الأقصى وغيرهم[31]، تلك الفتاوى أملتها الظروف الصعبة لذلك العصر؛ فلا غنى عن كتاب الدرر لدراسة أحوال المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م، وقد اقتبست كتب كثير من الكُتّاب من كتاب الدرر، وفي طليعتهم أبو العباس الونشريسي صاحب "المعيار"[32] (ت915هـ/1508م) وهو تلميذ المازوني.

وكان للمازوني مكانة علمية هامة تظهر من ثناء شيوخه عليه وتلامذته، فقد جاء في مصنفه الدرر عن شيخه ابن العباس (ت871هـ/1466م)، في آخر جواب عن سؤال أورده عليه: "والسلام عليكم أيها العلامة المفيد المتفنن المجيد، والمقدَّم في النظار، ومستخرج الجواهر النفيسة من أقصى لجج البحار، ورحمة الله تعالى وبركاته"[33].

وقال فيه شيخه ابن مرزوق الحفيد: "أيها البحر الزخار، وبقية العلماء النظار في تلكم الأصقاع والقفار، ولولا وجود مثلكم فيها لخلت تلك الدّيار، وصارت إلى ما صارت إليه جهاتها كالقفار"[34].

أما تلميذه الونشريسي فقال فيه: "القاضي، العالم العامل، المجيد المفيد، الجامع الشامل، الحافل الكامل، المشار إليه في سماء المعالي بالأنامل، الصدر الأوحد، العلامة النظّار، ذو الخلال السنية لمكاتبة الأكابر، وسني الخصال، شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا ومولانا وبركة بلادنا أبو زكرياء سيدي يحي ابن الشيخ الفقيه أبي عمران سيدي موسى"[35].

كيف لا تكون له هذه المكانة الهامة وهو الذي نشأ في بيئة علمية؛ فوالده السابق الذكر كان عالما، بالإضافة إلى أخذه عن كبار العلماء في عصره، واستعداده الفطري وحرصه على طلب العلم.

وفي نهاية القرن 10هـ/مطلع القرن 16م عرف المغرب الأوسط تحولات سياسية هامة، منها نزوح أهل الأندلس والغارات الإسبانية ثم الاستنجاد بالدولة العثمانية وقدوم الأتراك، وكان لهذه الأحداث وقع على الجزائر في جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وكانت مازونة واحدة من مدن الجزائر التي تأثرت بتلك الأوضاع، حيث برزت كحاضرة علمية بفضل استقرار الأندلسيين بها، ثم تعيينها أول عاصمة لبايلك الغرب وتداول عليها عدة بايات[36]،

فكان لهذه المكانة السياسية بالغ الأثر على الحياة العلمية بها، خاصة بعد أن شيّدت بها المدرسة، وبذلك أصبحت خلال العهد العثماني قبلة لطلبة العلم من شتى البقاع.

**4– التعريف بمدرسة مازونة:** من المؤكد أن مازونة كانت تحوي أكثر من معلم ثقافي وعلمي، خاصة منها المساجد والزوايا، وكلها ساهمت في بعث الحركة العلمية طيلة العهد العثماني، غير أنها اشتهرت بمدرستها الدينية المتخصصة في الدراسات الفقهية المختلفة، وتعد من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني[37]، ورغم الاختلافات حول تاريخ تأسيسها[38] إلا أن الأبحاث الحديثة والوثائق التاريخية توضح أنها تأسست في 1029هـ/1619م[39] على يد الشيخ العلامة محمد بن الشارف البولداوي، ويؤكد أبو القاسم سعد الله ذلك في قوله: "وقد بنى أحد المهاجرين الأندلسيين مدرسة مازونة المشهورة التي تخرّج منها عدد من الفقهاء خلال العهد العثماني، وهو محمد بن الشارف البولداوي، وظلت هذه المدرسة محافظة على سمعتها حتى بعد انتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر"[40].

وقد أسسها من ماله الخاص، ودرس بها حوالي 64 سنة، إلى أن وافته المنية سنة 1164هـ، وقبره معروف وموجود بها، عليه قبة تسمى باسمه: قبّة ابن الشارف[41].

يبدو أن تأسيس المدرسة في بدايتها كان بشكل بسيط وبأدوات تقليدية، تمثلت في الطين والديس والخشب والحجارة...الخ، وقد عملت السلطة العثمانية على إعادة بنائها وتوسيعها وفق المكانة السياسية التي أصبحت تحتلها مازونة حيث كانت عاصمة بايلك الغرب، وعرفانا بالدور الجهادي الذي قدمه الشيخ أبو طالب وطلابه ضد الوجود الإسباني بوهران[42].

ومن أشهر البايات الذين ساهموا في تطور المدرسة الباي محمد الكبير، ويؤكد ذلك ابن سحنون الراشدي حيث قال: "من أعظم مآثره أن رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس، بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن (الإدارة) بشيء، إلا من كان متوليا لخطة أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة (التعلم)، وشرهت لها النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوّق كل واحد للتدريس، واشتدّ الحرص على العلم من بعد أن كان يترك اشتغالا بالتجارة لقلة جدواه"[43].

وكانت المدرسة تتكون من مسجد جامع للصلاة المفروضة، وبعض المرافق التابعة له كانت تستعمل لإيواء الطلبة، ومكتبة كبيرة فيها مختلف المصادر الفقهية والأدبية[44]، ويؤكد ذلك أبو

القاسم سعد الله في قوله: "ولاشك أن مدرسة مازونة... كانت تضم مكتبات يطالع منها الطلبة والأساتذة"[45].

وكانت تلك الكتب في معظمها هبات من البايات والأعيان، وعلى سبيل المثال فإنّ الباي محمد الكبير[46] قد أوقف نسخة من صحيح مسلم وغيره من الكتب على مدرسة مازونة سنة 1212هـ/1797م[47]، ولا يزال البعض من مخطوطات هذه المكتبة بالمدرسة، والبعض الآخر موزع بين أفراد العائلة في شكل مكتبات شخصية.

وكان تمويل المدرسة يعتمد على الأوقاف والصدقات، ومن بين الأوقاف مقهى كان يقدم كل أربعاء للطلبة الشاي والفول السوداني، وكان شخص يجول يوم الجمعة على المنازل ويجمع المواد الغذائية والملابس مساعدة لهؤلاء الغرباء (تدعى هذه الطريقة بالرتبة)، وتواصلت الصدقات حتى في أيام الشدة والقحط والجفاف، وقدّم الأهالي يد العون للمغتربين، فتكفلت كل عائلة بطالب[48]، وكان التعليم بها مجانا.

**5– العلوم المُدرّسة ومنهج التدريس بمدرسة مازونة:** اختصت المدرسة بتدريس العلوم الدينية كالفقه وأصوله والتفسير وعلوم القرآن والحديث، وكان التركيز على الفقه المالكي، ومن بين الكتب التي كانت تدرس مختصر خليل حسب ما جاء على لسان أبي راس الناصري– الذي كان من تلامذة المدرسة– الذي قال: "فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معنى ولفظا في عامي الأول، ثم قرأت للطلبة الفرائض"[49]، ولذلك لقب مشايخ المدرسة وطلبتها بـ"الخليليين"، وتيسيرا لعملية التدريس اعتمد المشايخ شرح "محمد الخرشي[50]"، و"رسالة محمد بن ابي زيد القيرواني" وكتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" ليحي بن موسى المازوني.

وفي علم الحديث تم الاعتماد على صحيحي البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك، ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي في قوله: "قرأت على... أبي العباس أحمد بن هني...، وسمعت عليه مجالس من البخاري ومثلها من مسلم والموطأ"[51]، وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى[52].

لقد كانت طريقة التدريس مبسطة تستعمل وتفهم بسهولة، وتعتمد على المحاضرة والإلقاء، وفي نفس الوقت سمح المشايخ للطلبة بالمناقشة والمناظرة وبالسؤال، واستعدّوا للردّ والجواب المقنع، ومزجوا في دروسهم بين الجدّ والهزل، وقدموا النكتة التي تسحر الألباب.[53]

5- **أشهر علماء مدرسة مازونة:** وجدت وثيقة تاريخية عدد فيها مؤلفها أساتذة مدرسة مازونة منذ نشأتها إلى تاريخ تحرير هذه الوثيقة وهو سنة 1910م[54]، سنورد أشهرهم:

– محمد بن الشارف البولداوي: من النازحين الأندلسيين، وهو مؤسس مدرسة مازونة، الذي درس بها 64 سنة إلى أن توفي سنة 1164هـ/1750م.

– الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمان أبو طالب: المعروف بابن الشارف، هو حفيد الشيخ المؤسس للمدرسة، ولد على الأرجح في القرن 12هـ/18م، تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم على يد والده علي بن عبد الرحمن، وذلك بمدرسة مازونة التي أسسها جده، وتلقى العلم والفقه على شيوخ مازونة، وتولى التدريس بذات المدرسة في سن مبكرة باعتباره الوريث الشرعي للمدرسة، وكان يدرس طلبته الفقه ومختصر خليل وشرحي الخرشي والزرقاني، كما كان يدرسهم الرقائق ورواية الحديث وحفظ السند[55]، وكانت له حلقات علمية متميزة حافلة بالطلبة.

توفي الشيخ أبي طالب سنة 1233هـ/1818م بمدينة مازونة عن عمر يناهز 130 عاما، بعدما تخرّج على يديه العديد من العلماء أشهرهم أبو راس الناصري وغيره، وعرف بقلة التأليف ماعدا حاشية على شرح الخرشي[56]، وقد ساهم الشيخ أبو طالب المازوني في دفع الطلبة للجهاد من أجل تحرير وهران، كما شارك بنفسه حتى أنه أصيب في معركة وقعت ضد الإسبان بمسرغين، وتكريما لمجهوداته ومجهودات طلبته عملت السلطة العثمانية ببايلك الغرب على تجديد بناء مدرسة مازونة.

– الشيخ أبو العباس أحمد بن سيدي هني بن محمد بن علي: هو حفيد الشيخ أبو طالب المازوني سابق الذكر، تولى التدريس بعد وفاة جده، واستمر في وظيفته التعليمية أثناء الاحتلال الفرنسي.

– الشيخ محمد الصادق بن افغول: قال عنه تلميذه أبو راس: "... انتهت إليه رئاسة التدريس، وشدت إليه الرحال من حوالي زواوة وغريس، ولم أر مثله فيما رأيت، ...كان للعلوم جامعا، وفي فنونها بارعا..."[57].

وأما الطلبة الذين تخرجوا من مدرسة مازونة وأصبحوا علماء وفقهاء ومشايخ في مختلف أنحاء القطر الجزائري وخارجه فعددهم لا يحصى، وسنقتصر على ذكر أشهرهم:

– الشيخ مصطفى الرماصي (ت1136هـ/1725م): هو الفقيه أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، المنحدر من بلدة رماصة– قرية صغيرة من قرى مستغانم، تعلم في مدرسة مازونة على يد شيوخها، ثم رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها، وصفه الحفناوي بـ"العلامة المتفنن،

الجهبذ الناقد المحقق، من أذعنت له الأقران، ولم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان... ممن اشتهر بالتحقيق والتحرير والمتانة في الدين...، له مؤلفات بديعة عزيزة المنال"[58]، ومن آثاره: "كفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد"، وحاشية على شرح شمس الدين عامر العدواني على متن خليل في الفقه المالكي[59].

– الشيخ محمد أبو راس الناصري (ت 1238هـ/1823م): هو الشيخ الفقيه الحافظ المؤرخ، محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، الراشدي المعسكري الجزائري.

درس على شيوخ بلدته بمعسكر، ثم رحل إلى مازونة التي تلقى فيها الفقه المالكي وأصوله على عدد كبير من علمائها، وقد جاء ذكرهم في مؤلفه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"[60]، وعرف برحلاته المتعددة داخل الجزائر وخارجها، وإنتاجه الفكري الغزير، فلقد تجاوزت مؤلفاته 100 كتاب في مختلف الأغراض والفنون كالفقه والحديث والتصوف واللغة والتاريخ...، معظمها مخطوط[61]، ولم يطبع إلا اثنين منها هما: "فتح الإله ومنته" و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار".

– الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1767م)[62]: هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، مؤسس الطريقة السنوسية، ولد بمستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل، درس بمدرسة مازونة على يد شيخه أبي طالب المازوني، وحفيده الشيخ أبي العباس أحمد بن هني.

ويضاف إلى هؤلاء الشيخ عدة بن غلام الله (1208-1283هـ/1747-1866م) مؤسس الطريقة الشاذلية، والشيخ بن قندوز (ت1222هـ/1807م)، شيخ الجماعة بالحضرة المستغانمية وأحوازها، والشيخ محمد بن حوى، والشيخ محمد الصادق بن الحميسي، والشيخ الفقيه عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري[63] (ت1329هـ/1911م)، صاحب كتاب "الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب".

كما تخرج منها الشيخ المهدي البوعبدلي الذي حضر حفل تخرج الشيخ محمد بن الحاج الكبداني من قبائل صنهاجة الريفيين (المغرب الأقصى)، والشيخ العربي بن محمد الواسيني من ضواحي مغنية[64].

وكان أغلب خريجيها ممن تولوا القضاء والوظائف الشرعية بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى خاصة في الجهة الشرقية منه، وكانوا يتحصلون على الإجازة بعد القراءة على الشيخ المجيز بعد ملازمته لشهور أو أعوام، ومناظرته في المسائل، وقراءة بعض المؤلفات ذات المحتوى العلمي[65].

6- **دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية ومكانتها:** يظهر دورها من خلال العدد الهائل للعلماء الذين درّسوا بها، والذين أنجبتهم المدرسة، وذاع صيتهم حتى بلغ عنان السماء، أخذوا على عاتقهم مهمة التدريس والقضاء والفتوى والتأليف، متشبعين بالثقافة العربية الإسلامية المستمدة من الفقه المالكي الذي ساهموا في ترسيخه.

كما كان لها تواصل بالحواضر العلمية الأخرى كتلمسان وفاس وبجاية (الشلف)، ويؤكد ذلك أبو راس حيث يقول: "أقبل عليها الطلبة من النواحي القريبة والبعيدة وتزاحموا على الحلقات، وقعدت على طرف الحلقة للزحام الكاض، والضيق الفاحش، فكانت في الأعيان كحلقة ابن تيمية"[66].

وأشار في موضع أخر إلى مكانتها العلمية في قوله: "... لما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها و نجابة طلبتها و قريحة أشياخها سافرت إليها"[67].

وكانت إجازة المدرسة معترف بها وتكسب التقدير والاحترام، وإذا أراد الناس أن يفاخروا بطالب علم ويعظموه قالوا إنه درس بمازونة، وكان المتخرّج منها يحفظ متن خليل عن ظهر قلب، وهو يمتاز عن المتخرجين القرويين بإصدار الفتاوى والأحكام بمجالس الحكمة.

وهذا عبد القادر الخطابي الفقيه والأديب، أحد خريجي المدرسة، صاحب كتاب "الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب" يمتدح مازونة في قوله:

إذا رمت فقه الأصبحي فعج على ديار بها حلت سعود الكواكب
وحط رحـــال السير وانوِ إقـامـة بمازونة الغراء ذات المناصب
تجد سادة للفضل والعلم مهدوا طريقا بها أضحى التعصي بجانب[68].

ولم تكتف مدرسة مازونة في العهد العثماني بدورها العلمي والثقافي الذي ساهمت في بعثه وأعطته دفعا قويا في المنطقة وخارجها، بل تعدت ذلك وكان لها دور جهادي تجلى في الدفاع عن الوطن، وإعلان الجهاد على الإسبان في المرسى الكبير بوهران بقيادة الشيخ أبي طالب وابنه هني

رفقة 200 طالبا[69]، ولقد أبلت تلك الحملة بلاء حسنا، مما دفع بالبايات إلى الاعتراف بجميل تضحياتهم، فجددوا بناء المدرسة مرات وأغدقوا عليها بالأحباس.

وأهدى الباي عثمان لأبي طالب المازوني كرسيا خشبيا في سنة 1700م، لا يزال متواجدا بالمدرسة، كتب عليه "الكريم مكروم والبخيل محروم، والدنيا لا تدوم إلا للحي القيوم"، ونظرا لدورها الديني والعلمي والثقافي والجهادي، هناك من وصفها بالمعهد العلمي والكلية الفقهية الوحيدة لوطن الجزائر[70].

استمرت المدرسة في لعب دورها كراع للعلم والدين حتى في ظل الوجود الاستعماري، وتواصل التدريس بها حتى منتصف القرن 20م، لتنطفئ شمعتها بعد وفاة آخر مدرس للفقه وهو الشيخ أحمد ولد أبو راس سنة 1958م[71].

**الخاتمة:** تعتبر مدرسة مازونة رمزا حضاريا ومعلما ثقافيا ليس للجزائر فحسب بل وللأمة الإسلامية قاطبة طيلة قرون عدة من الزمن، وساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية والسياسية للجزائر خلال العهد العثماني وبعده، وأثرت وتأثرت بالحواضر والمدارس الأخرى.

وأنجبت العديد من العلماء الذين عمت شهرتهم الآفاق، وعملوا على نشر العلوم الشرعية وترسيخ المذهب المالكي، وساهموا في إثراء الخزانة الجزائرية والإسلامية بالإبداع والتأليف، ولا تزال المدرسة تحوي العديد من المخطوطات التي تحتاج إلى التفاتة المؤرخين.

وبفضلها تحولت مازونة إلى حاضرة ومنارة علمية أنارت بنورها الجزائر وغيرها من البلدان، وفي الأخير يمكن القول إن مدرسة مازونة صغيرة بحجمها، بسيطة بمكوناتها، كبيرة بدورها وتاريخها.

**الهوامش:**

1- أحمد بحري- حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية خلال العصر الحديث 1500-1900م-رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية – جامعة وهران-2012-2013م-ص20.

2- محمد بن يوسف الزياني- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تحقيق المهدي البوعبدلي- عالم المعرفة-الجزائر- ط1-2013م-ص77.--- 3- أحمد بحري-المرجع السابق-ص20.--- 4- نفسه-ص19.---5- نفسه- ص19.

6- الإدريسي محمد بن عبد الله- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة-ج1 -1422هـ/2002م- ص271.

7- الحميري محمد بن عبد المنعم- لروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت-ط2-1984- ص521.

8- ابن بطوطة- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار- تحقيق مجيد عبد المنعم العريان- مراجعة مصطفى القصاص- دار إحياء العلوم- بيروت -ط1-1407هـ/1987- ج1-ص667.

9– العبدري أبو عبد الله– رحلة العبدري– تحقيق علي ابراهيم كردي– دار سعد الدين للطباعة والنشر– دمشق– ط2–1426هـ/ 2005م– ص561.--- 10– الحسن الوزان بن محمد الفاسي– وصف إفريقيا– ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر– دار الغرب الاسلامي– بيروت– ط2– 1983–ص36.

11– مارمول كربخال– إفريقيا– تحقيق محمد حجي وآخرون– دار النشر للمعرفة– الرباط– 1409هـ/1989م– ص659.

12– مغراوة: من أوسع بطون زناتة، وهم أهل الباس والغلب منهم، نسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا من ورسيك بن الديرت بن جانا، إخوة بني يفرن وبني يرنيان...، وأما شعوبهم وبطونهم فكثير، مثل بني يليث وبني زنداك، وبني رواو ورترمير وبني أبي سعيد وبني ورميغان والأغواط وبني ريغة وغيرهم... وكانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مدبولة وما إليها. عبد الرحمن ابن خلدون– ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر– تحقيق خليل شحاذة– دار الفكر–بيروت– ط2– 1408هـ/1988م– ج7– ص33.

13– أبو راس محمد الجزائري الناصري– فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته– تحقيق وتعليق محمد بن عبد الكريم الجزائري– المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر– 1986م– ص20.--- 14– محمد بن يوسف الزياني– مصدر سابق– ص77.

15– أحمد بحري– مرجع سابق– ص27.--- 16– أبو القاسم سعد الله– تاريخ الجزائر الثقافي– دار البصائر– الجزائر– 2009م– ج2– ص45.--- 17– حسن الوزان– وصف إفريقيا– ج2– ص36.

18– محمد بوشقيف– المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين (8و9هـ/14–15م)– دورية كان التاريخية– العدد11–مارس 2011م– صص57–62.--- 19– أحمد بحري– المرجع السابق– ص217.

20– مختار حساني– موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية– دار الحكمة– الجزائر– ط2– 2012م– ج4 – ص189.

21– عادل نويهض– معجم أعلام الجزائر– مؤسسة نويهض الثقافية– بيروت– ط2– 1400هـ/1980م– ص281.

22– الحفناوي أبو القاسم محمد– تعريف الخلف برجال السلف– دراسة وتحقيق خير الدين شترة– دار كردادة للنشر والتوزيع– الجزائر– ط1– 1433هـ/2012م– ص565.

23– التنبكتي أحمد بابا– نيل الابتهاج بتطريز الديباج– إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة– منشورات كلية الدعوة الإسلامية– طرابلس– ط1– 1989م– ص605/الحفناوي– تعريف الخلف– ص565/عادل نويهض– معجم أعلام الجزائر– ص281.

24– الونشريسي أحمد بن يحي– وفيات الونشريسي– تحقيق محمد بن يوسف القاضي– شركة نوابغ الفكر– ط1– 1430هـ/2009م– ص106/نيل الابتهاج– ص637/الحفناوي– تعريف الخلف– ص677.

25– بركات إسماعيل– الدرر المكنونة في نوازل مازونة– ج1– دراسة وتحقيق– رسالة ماجستير– جامعة قسنطينة– 2010– ص138.

26– الونشريسي– المصدر السابق– ص106.

27– تنظر ترجمته في ابن مريم التلمساني– البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان– تحقيق عبد القادر بوباية– دار الكتب العلمية– بيروت– ط1– 2014م– صص365–380/يحي بوعزيز– أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة– دار البصائر– الجزائر– طبعة خاصة–2009م– ص51–58.--- 28– تنظر ترجمته عند الونشريسي– المصدر السابق– ص95/ابن مريم– المصدر السابق– ص248/عادل نويهض– معجم أعلام الجزائر–ص237.

29– القلصادي الأندلسي أبو الحسن علي– رحلة القلصادي– دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان– الشركة التونسية للتوزيع– تونس– 1406هـ/1985م– ص102–106/ابن مريم– البستان– صص116–120.

30– توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجزائر الوطنية في جزأين ضخمين تحت رقم 1335، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي– تاريخ الجزائر العام– ج2– شركة دار الأمة– الجزائر– ط2– 2010م–ص368/والكتاب محقق ومطبوع في جزأين.

31– التنبكتي– نيل الابتهاج– ص637.--- 32– التنبكتي– نفسه– ص135.

33– المازوني– الدرر المكنونة في نوازل مازونة– دراسة وتحقيق بركات إسماعيل–مذكرة ماجستير– جامعة قسنطينة– 2010م– ص138.

34– المصدر السابق– ص138.--- 35– بركات إسماعيل– المصدر السابق– ص138.

36– الآغا بن عودة المزاري– طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م– تحقيق يحي بوعزيز– دار الغرب الاسلامي– بيروت– ط2– 1990م– ج1 ص270–271/محمد بن يوسف الزياني– دليل الحيران– ص252.

37– أبو القاسم سعد الله– تاريخ الجزائر الثقافي– ص280.--- 38– عن تلك الاختلافات ينظر ميسوم ميلود– مدرسة مازونة: مسيرة علمية تزيد عن أربعة قرون– المجلة للغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية– جامعة بلعباس– العدد 6– جوان 2013م– ص29–42.

39– أحمد بحري– مرجع سابق– ص216/لزغم فوزية– الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية– ص141.

40– أبو القاسم سعد الله– مرجع سابق– ص138.--- 41–أحمد بحري– مرجع سابق– ص217.

42– مولاي بلحميسي– دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية في القرن 15 إلى منتصف القرن 20م– مجلة العصر– العدد11–الجزائر– 1997م– صص6–14.--- 43– نفسه– ص9.--- 44–أحمد بحري– مرجع سابق– ص217.

45– أبو القاسم سعد الله– المرجع السابق– ص297.--- 46– عن مولده وحياته ينظر بلبروات بن عتو– الباي محمد ومشروعه الحضاري 1779–1797م– رسالة ماجستير– جامعة وهران–2001–2002م– صص43–101.

47– أبو القاسم سعد الله– المرجع السابق– ص299.--- 48– المهدي البوعبدلي– تاريخ المدن– إعداد عبد الرحمن دويب– عالم المعرفة– الجزائر– ط1– 2013م– ص592/مولاي بلحميسي– مرجع سابق– صص6–14.--- 49– أبو راس– فتح الاله– ص43.

50– الخرشي: هو محمد بن عبد الله الخراشي المالكي أبو عبد الله، أول من تولى مشيخة الأزهر، كان فقيها فاضلا ورعا، المتوفى 1101هـ/ 1290م، أنظر الزركلي خير الدين– الأعلام– دار العلم للملايين– بيروت– مج6– ص240–241.--- 51– أحمد بحري– مرجع سابق– ص250.--- 52– أبو القاسم سعد الله– مرجع سابق– ص285.--- 53– أبوراس الناصري– مصدر سابق– ص45.--- 54– لزغم فوزية– مرجع سابق– ص141.--- 55– أحمد بحري– مرجع سابق–242.--- 56– لزغم فوزية– مرجع سابق– ص141.--- 57– أبوراس الناصري– مصدر سابق– ص45.--- 58– الحفناوي– تعريف الخلف– ص560–562.

59– عادل نويهض– معجم أعلام الجزائر– ص152.--- 60– أبو راس الناصري– مصدر سابق– ص43–46.

61– يحي بوعزيز– مرجع سابق– ص234–244.--- 62– أنظر ترجمته عند الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير– فهرس الفهارس والإثبات– اعتناء إحسان عباس– دار الغرب الإسلامي– بيروت–ط2– 1402هـ/1982م– ج1– ص1040/عادل نويهض– أعلام الجزائر– ص168.– -- 63– تنظر ترجمة عبد القادر الخطابي عند الكتاني– مصدر سابق– ص507/في معجم المؤلفين وفاته سنة 1332هـ تقريبا. رضا كحالة– معجم المؤلفين– مؤسسة الرسالة– بيروت– ط1– 1414هـ/1993م– ج2– ص198.--- 64– المهدي البوعبدلي– تاريخ المدن– جمع وإعداد عبد الرحمان ديب– عالم المعرفة– الجزائر– ط1– 2013م– ص593.--- 65– بعض الامثلة عن الإجازات التي قدمت من مدرسة مازونة أنظر لزغم فوزية– مرجع سابق– ص142–143.--- 66– أبو راس الناصري– مصدر سابق– ص44.--- 67– أبو راس– نفسه– ص43.--- 68– أحمد بحري– مرجع سابق– ص252–253.--- 69– ميسوم ميلود– مرجع سابق– ص34.--- 70– المهدي البوعبدلي– تاريخ المدن– ص591.--- 71– مولاي بلحميسي– مرجع سابق– ص9.

**Summary**: Mazouna had token a very important political and scientific position during the Ottoman era, In addition to all this ,it was considered as a first capital city of Beylik the west ,it become also a direction for all the students who were seeking to study Jurisprudence sciences and religion from the inside and the out side of the country. Mazouna was known as a city of science and scientists and that was by the grace of its religions school founded by one the displaced Andalusians "Mohamed ibn Charef Al-Bouldawi" in 1029/1619.

This religious school was very famous because of its populated meetings and talents of its students. It had a very deep impact in stimulating the scientific and cultural movements locally. Moreover , this school was a nucleus for the emergence of the city of Mazouna as a scientific region in the west of Algeria .The school contributed also in the graduation of many great scientists, who worked very hard to consolidate the maliki school. These scientists took many jobs. They were known by issuing fatawa, creativity and writing. They

participated also in the declaration of war(jihad) against the Spanish for Sake of the freedom of Oran city. Fin there more, the city of Mazouna played a scientific, religious, cultural and jihadist role.

Above all, the scientific flourishment and civilization that the city Mazouna reached was as an extension of the scientific movement which took place in Ziyanid era, represented by Abu Zakaria al-Maghili al-Mazouni and his father Abu Imrane Musa.

Despite, the declining of the school of Mazouna at the present day, it remains as a symbol of civilization and cultural landmarks, not only for Algeria, but also for Islamic nation in general. For that reason, historians and researchers must be in need to study its manuscripts.